

أعمال لا أجر لها في الإسلام

القرض - الضمان - الشهادة - الشفاعة - الجاه^(١)

مقدمة :

* أعني بالآجر هنا الأجر المادي (المالي) الدنيوي ، لا الأجر بمعني الثواب ، وإلا فإن هذه الأعمال التي لم يشرع فيها الأجر ، إنما تستحق جميعاً الأجر (الثواب) من الله .

* سيرد في هذا المقال لفظ « الأجر » و « الجُعل » ، وهما هنا في هذا البحث بمعني واحد .

* هناك أعمال شرع فيها الأجر ، مثل إجارة الأشخاص (راتب ، أجر) ، ومثل إجارة الأشياء (كراء ، أجر) .

* غير أن هناك أعمالاً أخرى لا يجوز فيها الأجر ، مثل : القرض ، الضمان ، الشهادة ، الشفاعة (مع شيء من التفصيل بالنسبة لهذين العاملين الأخيرين) .

ولعل الأصل الشرعي لمثل هذه الأعمال يعود إلى قوله تعالى على لسان رسل الله عليهم السلام ، وقد تكرر في أكثر من سورة وآية ، لا سيما

(١) منشور في مجلة الوعي الإسلامي ، الكويت ، العدد ٣٥٥ ، ربيع الأول ١٤١٦ هـ =
آب ١٩٩٥ م ، ص ٤٢-٤٥ .

في سورة الشعراء ، الآية ١٠٩ وغيرها : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٩] .

ستكلم في هذا البحث عن هذه الأعمال ، وسنضيف إليها أجر الجاه ، لعلاقته بأجر الضمان وأجر الشفاعة ، كما سنرى .

١- المقرض :

إذا أقرضت مالا نقدياً ، أو أي مال آخر قابل للمقرض (مال مثلي) . فإنك تسترد مثل المال الذي أقرضت . وأي زيادة تشتريها على المقرض إنما تكون من قبيل ربا النسيئة المحرم ، بالقرآن والسنة والإجماع .

فالمقرض عمل غير مأجور ، إنما هو عمل مشكور ، من قبيل الإرفاق أو المعروف . لكن المال النقدي إذا قدم قراضاً (= مضاربة) جاز له الاشتراك بحصة من الربح . ولا نطيل في هذا لأن هناك بحثاً كثيرة أفردت للكلام عن الربا المحرم ، والمقرض ، والقراض .

٢- الضمان :

إذا ضمنت مقرضاً ، أو مديناً ، لم يجز لك عند العلماء أن تأخذ أي أجر على ضمانك هذا ، لأن الضمان كما قالوا هو أيضاً من أعمال المعروف ، ففي الأم للشافعي ٢٠٥/٣ : « الكفالة معروف » ، وفي روضة الطالبين للنووي ٢٤١/٤ : « الضمان تبرع » ، وفي المدونة ١٣٢/٣ : « لا ينبغي أن يكون للضمان ثمن » ، وفي فتح الباري ٤٧٢/٤ : « الكفالة التزام مال بغير عوض تطوعاً » ، وفي شرح العناية بحاشية فتح القدير لابن الهمام ١٨١/٧ : « والكفالة عقد تبرع » ، وفي مواهب الجليل للحطاب ١١٦/٥ : « الحمالة (= الضمان) معروف » ،

وفي المرجع نفسه ١١١/٥ : « لا يجوز ضمان بجعل ، لأن الضمان معروف ، ولا يجوز أن يؤخذ عوض عن معروف وفعلٍ خيرٍ ، كما لا يجوز على صوم ولا صلاة ، لأن طريقها ليس لكسب الدنيا . وقال مالك : لا خير في الحماله بجعل » .

كذلك الضمان المتبادل (اضمَّني اضمَّنتك) ، كالقرض المتبادل (أقرضني أقرضك) ، لا يجوز ، لأنه في حكم الضمان بعوض . ففي الشرح الكبير للدردير ٣/٣٦٤ : « تحمَّل عني وأتحمل عنك ، وهو ضمان بجعل ، وأسلفني وأسلفك ، وهو سَلَفٌ جرٌّ منفعة » .

وكذلك لم يجز الأجر على الضمان لأن الضامن إذا لم يقيم المقرض ، أو المدين ، بالسداد صار غارماً (= مديناً) . قال رسول الله ﷺ : « الزعيم (= الكفيل) غارم »^(١) . فإذا أخذ الضامن أجر ضمانه التبس هذا الأجر بربا النسبة المحرم ، لأنه أقرض مَنْ ضمنه ، فيؤول أجر الضمان إلى ربا قرض محرم .

قال في كشاف القناع ٣/٣١٨ : « إن جعل له جعلاً على ضمانه له فلا يجوز (. . .) ، لأنه ضامن ، فيلزمه الدين ، وإن أداه وجب له على المضمون عنه ، فصار كالقرض . فإذا أخذ عوضاً صار القرض جازاً للمنفعة ، فلم يجز » .

وبمثل هذا علل في البحر الرائق ٦/٢٤٢ بطلان الجعل على الضمان ، فقال : « الكفيل مقرض في حق المطلوب ، وإذا شرط له الجعل ، مع ضمان المثل ، فقد شرط له الزيادة على ما أقرضه ، فهو باطل ، لأنه ربا »^(٢) .

(١) سنن أبي داود ٣/٢٩٧ ، والترمذي ٣/٥٥٦ ، وقال : حديث حسن .

(٢) ومثله في الدسوقي على الشرح الكبير ٣/٣٤١ .

ثم إن القرض فيه دفع مال ولم يجز فيه الأجر ، فكيف يجوز أجر الضمان وليس في الضمان إلا بذل جاه ، وإذا آل إلى دفع مال صار كالقرض ، فإذا كان القرض لا يجوز فيه الأجر ، فمن الأولى ألا يجوز الأجر على الضمان .

قال الدردير في الشرح الكبير ٧٧/٣ : « أما صريح ضمان بجعل فلا خلاف في منعه ، لأن الشارع جعل الضمان والجاه والقرض لا تُفعل إلا لله تعالى ، فأخذ العوض عليها سُحت » .

وعلى هذا بنت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية (مجلة البحوث الإسلامية ، الرياض ، العدد ٤١ لعام ١٤١٤هـ ، ص ٥٢) أنه لا يجوز لأحد أن يستقدم عمالاً إلى المملكة ، ليعملوا عند غيره أو لحسابهم (أي بمالهم وعملهم) ، على كفالته ، مقابل نسبة مئوية ، أو مبلغ مقطوع من أجرهم .

قد يقال هنا إنه ربما يجب التمييز في الفتوى بين المبلغ المقطوع والنسبة المئوية ، فالمبلغ المقطوع لا يجوز لأنه أجر ضمان ، أما النسبة المئوية فقد تجوز على أنها ربح ضمان . فالربح يستحق بالمال والعمل والضمان . واستحقاقه بالمال والعمل جائز عند الكل ، واستحقاقه بالضمان جائز عند الحنفية والحنابلة ، وهم الذين أجازوا شركة الوجوه ، وهي شركة بين اثنين (أو أكثر) يشتريان بالنسيئة ، ويبيعان بالنقد (وبالنسيئة) ، والربح بينهما على حسب الضمان ، أي ضمان البضائع المشتركة .

لا يُقال هذا لأن الضمان الذي يستحق به الربح ليس ضماناً محضاً ، إنما هو ضمان مضاف إلى عمل ، أو مضاف إلى مال ، وقد أثبتنا هذا في بحث آخر .

ثم إنه إذا وقعت خسارة ، فهل يكون للضمان حصة منها ، كما أن له حصة من الربح ؟ أي هل يعامل الضمان معاملة المال (في القراض) ، فتقع عليه الخسارة المالية ، أم معاملة العمل ، فلا تقع عليه الخسارة المالية ؟

لا يجوز معاملته معاملة العمل ، لأن مركزه في الشرع أضعف من العمل ، بل أضعف من المال ، كما مرَّ ، فإذا عاملناه معاملة المال ، بحيث يتحمل خسارة ، فهنا نقول بأنه إذا كانت حصة الضمان من الخسارة ٢٠٪ مثلاً ، في مقابل حصة مساوية من الربح أي ٢٠٪ أيضاً ، صارت الصيغة بالنسبة للضامن أنه شريك بالمخاطرة المحضة : إن ربحت فلي ٢٠٪ من الربح ، وإن خسرت فعلي ٢٠٪ من الخسارة . وهذه الصيغة أشبه ما تكون بالرهان المحرم^(١) . إن مخاطرة المال أو العمل تزيد في ربح المال أو ربح العمل ، ولكن المخاطرة بالخسارة لا تسوِّغ ربحاً .

٣- الشهادة :

قد تدعى لتحمل شهادة ، أو لأدائها ، وكلاهما (التحمل ، والأداء) فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي ، وإلا أثم الجميع .

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾

[البقرة : ٢٨٣] .

فإذا تحملت الشهادة لم يجز لك كتمانها ، إذا ما دُعيت إليها ، حفظاً للحقوق ، ومنعاً من ضياعها .

(١) انظر المدونة ٣/ ١٣٢ ، وكتابي : الميسر ٣٣ و١٤١ و١٤٣

قال تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق : ٢] .

قال في القوانين الفقهية ٣٣٩ : « لا يجوز أخذ الأجرة على الأداء ، لأنه واجب » .

وقال في المغني ١٩/١٢ : « ومن له كفاية فليس له أخذ الجعل (= الأجر) على الشهادة ، لأنه أداء فرض ، فإنَّ فرض الكفاية إذا قام به البعض وقع منهم فرضاً .

وإن لم تكن له كفاية ، ولا تعينت عليه ، حل له أخذه ، والنفقة على عياله فرض عين ، فلا يشتغل عنه بفرض الكفاية . فإذا أخذ الرزق (الأجر من الدولة) جمع بين الأمرين .

وإن تعينت عليه الشهادة احتمل ذلك أيضاً ، واحتمل ألا يجوز ، لثلا يأخذ العوض عن أداء فرض عين .

وقال أصحاب الشافعي : « لا يجوز أخذ الأجر لمن تعينت عليه . وهل يجوز لغيره ؟ على وجهين » ١ . هـ .

وقال في الإنصاف ٦/١٢ : « لا يجوز لمن تعينت عليه أخذ الأجرة عليها ، وهو المذهب مطلقاً (. . .)

قال في الفروع (٥٥٠ / ٦) : ويحرم في الأصح أخذ أجرة وجُعِلَ (. . .)

وقيل : لا يجوز أخذ الأجرة إن تعينت عليه ، إذا كان غير محتاج . وذكر الشيخ تقي الدين رحمه الله وجهاً بجواز الأخذ لحاجة ، تعينت أو لا ، واختاره .

وقيل : يجوز الأخذ مع التحمل .

وقيل : أجرته من بيت المال .

قوله : ولا يجوز ذلك لمن لم تتعين عليه في أصح الوجهين (. . .)
والوجه الثاني : يجوز . واختار الشيخ تقي الدين رحمه الله : يجوز
لحاجة ، كما تقدم عنه .

وقيل : لا يجوز الأخذ مع التحمل « ١ . هـ .

ولخص ابن تيمية الحكم في أخذ الأجر على الشهادة تلخيصاً حسناً ،
فقال : « للفقهاء في أخذ الجعل على الشهادة أربعة أقوال ، هي أربعة
أوجه في مذهب أحمد وغيره :

أحدها : أنه لا يجوز مطلقاً ؛

والثاني : لا يجوز إلا عند الحاجة ؛

والثالث : يجوز إلا أن يتعين عليه ؛

والرابع : يجوز .

فإن أخذ أجراً عند التحمل لم يأخذ عند الأداء « (١) .

وفي معترك الأقران ٤٣٦/٣ للسيوطي : « واختلف في أخذ الأجرة
عليها ، وعلى كُتُب الوثائق ، والمشهور عدم الجواز . أما من انتصب
لها ، وترك التسبب المعتاد لأجلها ، فجائز له أخذ الأجر عليها ، وإلا لم
يجد الإنسان من يشهد له ببسر » . فجواز الأجرة معلل هنا بأمرين :

الأمر الأول : التفرغ للشهادة ، والأمر الثاني : تيسير الشهادة . تُرى
هل يمكن أن ينطبق هذا على الضمان أيضاً ؟ قد لا ينطبق ، لأن الضمان
كما رأينا قد يؤول إلى الربا .

(١) فتاوى ابن تيمية ٩٩/٢٨ ، والطرق الحكمية لابن القيم ١٤٨ و ٢٦١

٤- الشفاعة :

الشفاعة (الحسنة) هي التوسط أو الوساطة ، أي « الانضمام إلى آخر ناصراً له ، وسائلاً عنه . وأكثر ما يتعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى »^(١) . وسُمِّي شفيعاً : « لأنه يصير مع صاحب الحاجة شفعاً »^(٢) .

قال تعالى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ﴾ [النساء : ٨٥] (كفل : نصيب) .

قال ابن الجوزي في زاد المسير ١٥٠ / ٢ : « في المراد بالشفاعة (الحسنة) أربعة أقوال ، أحدها أنها شفاعة الإنسان للإنسان ، ليجتلب له نفعاً ، أو يخلصه من بلاء . وهذا قول الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد »^(٣) .

وقال في تفسير المنار ٣٠٩ / ٥ : « إن العلماء متفقون على أن شفاعة الناس بعضهم لبعض تدخل في عموم الآية ، وأنها قسمان : حسنة ، وسيئة . فالحسنة أن يشفع الشافع لإزالة ضرر ، ورفع مظلمة عن مظلوم ، أو جر منفعة إلى مستحق ، ليس في جرّها إليه ضرر ولا ضرار (= مقابلة ضرر بضرر) . والسيئة أن يشفع في إسقاط حد (= عقوبة) ، أو هضم حق ، أو إعطائه لغير مستحق ، أو محاباة في عمل ، بما يجر إلى الخلل والزلل . والضابط العام أن الشفاعة الحسنة هي ما كانت فيما استحسنه

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني .

(٢) تفسير القرطبي ٢٩٥ / ٥ ، والرازي ٢٠٦ / ١٠ .

(٣) وانظر تفسير الرازي ٢٠٦ / ١٠ .

الشرع ، والسيئة فيما كرهه أو حرمه »^(١) .

قال رسول الله ﷺ : « اشفعوا تؤجروا »^(٢) .

في شرح النووي لصحيح مسلم ١٧٧/١٦ (باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام ، من كتاب البر والصلة والآداب) أن في الحديث : « استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة ، سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووال ونحوهما ، أم إلى واحد من الناس ، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان ، في كف ظلم ، أو إسقاط تعزير (= عقوبة اجتهادية) ، أو في تخليص عطاء لمحتاج ، أو نحو ذلك . وأما الشفاعة في الحدود (= العقوبات المنصوصة) فحرام .. وكذلك الشفاعة في تميم باطل ، أو إبطال حق ، ونحو ذلك ، فهي حرام »^(٣) .

جاء رجل إلى الحسن بن سهل ، يستشفع به في حاجة ، فقضاها (له) ، فأقبل الرجل يشكره ، فقال له الحسن : « علامَ شكرنا ، ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة »^(٤) .

وذكر ابن حجر قبول الهدية بسبب الشفاعة بين الكبائر ، ثم قال : « هذا هو ما صرح به بعض أئمتنا ، وفيه نظر ، لأنه لا يوافق قواعدنا ، بل مذهبنا أن من حبس ، فبذل لغيره مالا ، ليشفع له ، ويتكلم في خلاصه ، جاز ، وكانت جعالة جائزة ، فالذي يتجه حمل ذلك على قبول مال في مقابلة شفاعة في محرم »^(٥) .

(١) وانظر أيضاً فتح الباري ٤٥١/١٠ .

(٢) فتح الباري ٤٥١/١٠ ، ومسلم بشرح النووي ١٧٧/١٦ ، والنسائي ٧٨/٥ .

(٣) وانظر فتاوى ابن تيمية ٢٨٦/٣١ .

(٤) الآداب الشرعية للمقدسي ١٨٥/٢ .

(٥) الزواجر ١٩٠/٢ .

وقال ابن حزم في المحلّي ١٥٨/٩ : « وأما مَنْ نصر آخرَ في حق ، أو دفع عنه ظلماً ، ولم يشترط عليه في ذلك عطاءً ، فأهدى إليه مكافأةً ، فهذا حسن لا نكرهه ، لأنه من جملة شكر المنعم ، وهدية بطيب نفس ، وما نعلم قرآنًا ولا سنة في المنع من ذلك » .

والشفاعة في الإسلام تقدم بالمجان . قال المرداوي في الإنصاف ٢١٤/١١ : « الشفاعة من المصالح العامة ، فلا يجوز أخذ الأجرة عليها »^(١) .

وذكر الغزالي الشفاعة في الإحياء ٢٠٠/٢ ، في حقوق المسلم على المسلم . وما نقلناه آنفًا عن ابن حزم في المحلّي إنما هو في الهدية (بغير شرط) ، لا في الأجرة (المشروطة) . والشرط يغير الحكم الشرعي كما في الربا ، فهو حرام في الشرط ، وهو من باب حسن القضاء بلا شرط . غير أن بعض العلماء أجازوا الأجر على الشفاعة ، وذكروا ذلك بمناسبة كلامهم عن أجر الجاه ، كما سنرى .

٥- أجر الجاه :

قال تعالى : ﴿ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة : ٤٢] .

وقال أيضاً : ﴿ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتُ ﴾ [المائدة : ٦٢ و ٦٣] .

قال ابن مسعود : « السحت أن يقضي الرجل لأخيه حاجة ، فيهدي إليه هدية ، فيقبلها »^(٢) . وقال ابن خُوَيز مَنَّاد : « من السحت أن يأكل الرجل بجاهه وذلك أن يكون له جاه عند السلطان ، فيسأله إنسان حاجة ، فلا يقضيها إلا برشوة يأخذها »^(٣) .

(١) وانظر كشاف القناع ٣١٧/٦ .

(٢) تفسير القرطبي ١٨٣/٦ .

(٣) المرجع نفسه .

وفي الدسوقي على الشرح الكبير ٢٢٤/٣ : « أن ثمن الجاه إنما حرم لأنه من باب الأجر على الواجب ، ولا يجب على الإنسان أن يذهب مع كل أحد » .

وفي المعيار المعرب ٢٣٩/٦ : « سئل الفقيه أبو عبد الله القوري عن (. . .) ثمن الجاه ، هل يجوز أخذه على نية التصديق به (. . .) أو إصلاح مسجد ، وما كان في معناه ؟ (. . .) . فأجاب : (. . .) اختلف علماؤنا (. . .) في حكم ثمن الجاه ، فمن قائل بالتحريم بإطلاق ، ومن قائل بالكراهة بإطلاق ، ومن مفضل فيه ، وأنه إن كان ذو الجاه يحتاج إلى نفقة وتعب وسفر أو ترداد مشي ، فأخذ مثل أجر مثله ، فذلك جائز ، وإلا حرم . وعلى كل تقدير لا ينبغي الإقدام عليه للتصدق به ، ولا لبناء مسجد ، ونحوهما (. . .) . وفي المعنى :

بنى مسجداً لله من غير حله فجاء بحمد الله غير موفق كجارية تزني ، وتطعم جائعاً فيا ليتها لم تزن ، ولم تتصدق ولهذا فإن بعض العلماء قد أجازوا الأجر على الجاه . ففي فتاوى النووي ص ١٥٤ أيضاً : إذا كان الإنسان في حبس السلطان (. . .) ، حُبس ظلماً ، فبذل مالاً لمن يتكلم في خلاصه بجاهه وبغيره ، هل يجوز ؟ وهل نص عليه أحد من العلماء ؟

نعم يجوز ، وصرح به جماعة ، منهم القاضي حسين (. . .) . ونقله عن القفال المروزي ، قال : هذه جُعالة مباحة ، قال : وليس هو من باب الرشوة ، بل هذا العوض حلال كسائر الجُعالات » .

وفي الزواجر ١٩٠/٢ : « وليس من الرشوة بذل مال لمن يتكلم مع السلطان مثلاً في جائز ، فإن هذا جُعالة جائزة » .

وفي مجلة الأحكام الشرعية للقاري : « يجوز أن يقترض الإنسان

بجاهه لآخر ، كما يجوز أن يأخذ عليه جُعلاً من المقرض »^(١) .

وقال الإمام أحمد : « ما أحب أن يقترض بجاهه لإخوانه »^(٢) .

وقد ذهب بعض المعاصرين إلى قياس أجر الضمان على أجر الجاه ، بدعوى تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وامتناع الناس عن بذل الجاه والضمان إلا بأجر ، وإن كان الأصل في هذا هو التبرع بدون مقابل ، وقال : « لا بأس من تجويز الأجر مقابل الضمان »^(٣) .

لقد كتب ابن خلدون « في أن الجاه مفيد للمال » ، وقال : « وذلك أنا نجد صاحب المال والحظوة ، في جميع أصناف المعاش ، أكثر يساراً وثروة من فاقد الجاه ، والسبب في ذلك أن صاحب الجاه مخدم بالأعمال ، يتقرب بها إليه في سبيل التزلف والحاجة إلى جاهه ، فالتناس معينون له بأعمالهم في جميع حاجاته ، من ضروري أو حاجي أو كمالي (. . .) يستعمل فيها الناس من غير عوض (. . .) . والأعمال لصاحب الجاه كثيرة ، فتفيد الغنى لأقرب وقت ، ويزداد مع الأيام يساراً وثروة (. . .) . ومما يشهد لذلك أنا نجد كثيراً من الفقهاء وأهل الدين والعبادة ، إذا اشتهروا وحسن الظن بهم ، واعتقد الجمهور معاملته الله في إرفادهم (= إعانتهم) ، فأخلص الناس في إعانتهم على أحوال دنياهم ، والاعتماد في مصالحهم ، أسرع إليهم الثروة ، وأصبحوا مياسير من غير مال مقتنى ، إلا ما يحصل لهم من قيم الأعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم . رأينا من ذلك أعداداً في الأمصار والمدن ، وفي

(١) المادة ٧٣٠ . وانظر كشف القناع ٣/ ٣١٨ ، حيث ميّز بين أجر الجاه فأجازه ، وبين أجر الضمان فمنعه .

(٢) كشف القناع ٣/ ٣١٩ .

(٣) الأعمال المصرفية للهمشري ٢٢٧ ، وموقف الشريعة من المصارف لعبد الله العبادي

البدو ، يسعى لهم الناس في الفلح (الزراعة) والتجر (التجارة) ، وكل قاعدٌ بمنزله ، لا يبرح من مكانه ، فينمو ماله ، ويعظم كسبه ، ويتأثل (= ينال) الغنى من غير سعي »^(١) .

وهذا الذي ذكره ابن خلدون ليس حكماً شرعياً منه على الجاه ، بل هو وصف للواقع وتحليل .

وأياً ما كان الأمر فإن الجاه إذا كان مستمداً من إمارة أو ولاية أو وظيفة عامة صار الكسب به ضرباً من استغلال النفوذ ، وهو ممنوع حتى في القوانين .

خاتمة :

١- هناك أعمال ليس لها أجر يؤخذ من العباد ، إنما هي قُرَبات يُتَغْنى فيها الأجر (= الثواب) من الله : ﴿ إِنَّا أَجْرِيْكَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ [يونس : ٧٢] .

٢- من هذه الأعمال ما لا خلاف فيه بين الفقهاء ، كالقرض والضمان ، فلا يجوز الأجر عليهما ، لكن يجوز تقديم المال (النقدي) قراضاً بحصة من الربح عند الجميع ، ويجوز الضمان بربح عند البعض (الحنفية والحنابلة) ، وهم الذين أجازوا شركة الوجوه . ولكن هذا الضمان ليس ضماناً مستقلاً ، بل هو تابع للعمل أو للمال .

٣- ومنها ما فيه خلاف ، كأجر الشفاعة والشهادة ، ولعل الأصل هو المنع ، ولعل الأكثرين عليه .

٤- وقد تكلمنا عن أجر الجاه ، لأن بعض العلماء ذكروا من خلاله آراءهم في أجر الشفاعة ، ولأن الجاه ذو صلة بالشفاعة والضمان ، فهما معتمدان على الجاه . وما ذكره بعض الباحثين المعاصرين من جواز أجر

(١) المقدمة ٩١٩/٢ .

الضمان قياساً على أجر الجاه لا يزال عندنا غير مسلم .

٥- وعلى هذا فإنه إذا كان الاتجاه في الحضارة المادية (المهيمنة اليوم) نحو المتاجرة بكل شيء ، فإن في الإسلام أعمالاً لا يمكن أن تصبح محل اتجار ، لأنها من المعروف الذي لا يُسمح بانقلابه إلى تجارة ، بيع أو إجارة . . . ولأنها جعلت في الإسلام من الواجب ، ولا أجر على واجب . . . ولعل الشارع أراد للمسلمين أخيراً أن يبقى بينهم مجال دائم للمعروف ، لتحقيق التوازن بين قطاع المعاوضة (= التجارة) وقطاع التبرع (= المعروف) .

ثم إنه لو أتيح الأجر على القرض والضمان لأفضى هذا إلى الربا المحرم ، ولو أتيح الأجر على الشهادة لربما أدى هذا إلى شهادة الزور والاستغلال وضياع الحقوق ، ولو أتيح الأجر على الشفاعة لربما انتهى الأمر إلى الشفاعة السيئة .

ولو أتيح الأجر على القرض والضمان والجاه والشفاعة لربما زاد الأثرياء ثراء ، والفقراء فقراً ، ويريد الإسلام أن تضيق الفجوة بين الناس في الدخول والثروات : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [الحشر : ٧] . ولا يخفى أثر هذا على تنقية النفوس من نوازع البغي والطغيان (انظر سورة الشورى ٢٧ ، وسورة العلق ٦) ، وعلى تحقيق العدل والرفاه والأمن والسلام والاستقرار ، والله أعلم .

* * *